ديار الاسلام عامرة " ٢"

رواية

احمد صبري

مراجعة الشيخ

ابوعمر احمد بن محمد

ولقد أحس لحظتها ان الوجود قد تفجر نورا ربانيا من حوله فاق ضوء الشمس وتخطئ كل ما عهد فى دنياه من انوار نور كذلك الذى جعله شعاعا منذ سنوات طوال عندما نام وحيدا فى دراهم فى ليلة من ليالى النصف الاخير من شهر رمضان ثم وجد كيانه ينساب نورا اخذ بكل مشاعره فوقف يتردد صوته فى جوانب السموات و الارض التى اشرقت بنور ربها داعيا الخالق : اللهم اهدنا ..

ثم نهض من نومه ينتفض جسده وتنمهر دموعه من روعة المشهد وعظمة اللحظة ورهبتها

وارتفعت نظراته ضارعة ان اللهم اغفر وارحم فانت الاعز الاكرم ..

الحمد لله على سلامتك

قالها الرجل الطويل الذى كان منحينا عليه وادرك من نظرة واحدة الى ما كان يجمعه من حوله من معدات وادوات انه طبيب

تعجب للحظات ما كان به من مرض ولم يشعر للحظة باى اواجع او اعراض تشى بمرض لكن اذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ، همهم شاكرا :

الحمد لله سلمت يا دكتور

وحين دار بصره فيما حوله وجدا اولاده يحيطون به عيونهم حب وقلق ودموع

: يا سبحان الله .. ماذا حدث لى . لقد كنت .. كنت اين ؟ .. وماذا ؟

اله راسه فرفع ذراعه واعتصر جبهته باصعبه . همس الطبيب مهونا :

لا تجهد فكرك كثيرا ولك ان تستريح كما يحلو لك . لقد كتبت لك اجازة مفتوحة وسوف اخطر المجلة بذلك .. هه .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ارادا ان يرد التحية باحسن منها ولكنه لم يستطيع فلقد كان لسانه متصلبا داخل حلقه

نظرت اليه ابنته وقد فاضت دموعها ونادته بصوتها الطفولى :

ابى .

سمع صوتها واضحا جيبا . اراد ان يطمئنها :

انا بخير يا حبيبتى .

.. وان يقص عليها كيف انه ليس يائسا من تحقق حلمه الذى شاركت فيه للحظات كثيرة فيحلمان برحليهم الى ديار الحبيب حتى انهما كانا يرددا معا نداء التلبية للعمرة و الحج ثم يفاجئا سائلا :

هل تستطعين قولها وحدك يا منة الله اذن قوليها

وانساب صوتها حنانا فى اذنيه :

لبيك اللهم لبيك

لبيك لا شريك لك لبيك

ان الحمد و النعمة لك والملك

لاشريك لك

وانسالت دموعه من عنينه المغمضتين وسمع صوت زوجته حانقا متهدجا :

لعنة الله عليك يا مهدى انت و زوجك لقد سلبتمونا اموالنا واحلامنا

شعر بانه يتنهد فى اشفاق شديد عليها مشفقا من تفكيرها هامسا لها بكلمات لم يسمعها الا ربه :

ما حزنت من اجل المال ، فالمال مال الله ، يؤتيه من يشاء ويمنعه ممن يشاء ، ولكن كل هذا الخداع من بعض جيران الدار وشركاء اللقمة والمؤتمنين على حمل الرسالة هو ما امض قلبى واحزننى واخافنى لا على نفسى ولكن على دنيى

كان اولاده يتاملونه مشفقين دامعين وهو لا يسطتيع حراكا يريد لو انه يمسح عنه دموعهم فهم براء من كل الامه ولكنها الام تشملهم بشرر اهلها ممن لا يخافون عهد الله

تنهد فى اسى وتمتم باكيا :

اللهم الطف بنا يا لطيف
واجهش كل المحيطين بالبكاء فكانهم يشعرون بانهم يودعونه ويسمعون منه اخر ما سيقول بلسان اهل الدنيا .
بغريب ان يسعى المهدى وقد تخبطه الضلالللطلاق هنية بل هو ذا يعلن امام المحقق هذه السيدة لاشان لى بها

وهاهى ذى ورقة طلاقها تشهد بانفصالنا نظر المحقق طويلا ثم تهكم منه قائلا وهادل تظن انك اول من فكر في هذه الحيلة تهربا من المسؤلية حقا هو تصرف الماكرين ولاكن الحق يرد عليهم فينقلبو خاسرين ان القانون يامهدى يعرف انكزوج لعا ايااندم ان كانت تجمع الاموال وتعددها ولا يهمنا بعد ذلك ان كانت هى الان زوجة لك اولم تكن ولهاذا فانت متهم مثلها الان ولايتك عليها في فترة اكل مال الناس بالباطل كانت قائمة وثابتة
قال المهدى مدافعا في غفلة ولاكننا كنا نبغى خيرا بجيراننا هى السوق ورغم كل شىء نرجو ان تتاح لنا فرصة عام او عامين للتصالح مع الجيران على نفس سخريته قال القاضى وهل تامل في فكاك مالك اليوم من مهرب لقد سقطت في هذه المسالة واحاط بك سرادقها وسوف اصدر الان حكما بمنعك واسرتك من السفر خارج البلاد
مع تحديد دائرة اقامتك ولك من الوقت شهران فقط تدبر فيها امرك وترد على الدائنين اموالهم خرج المهدى ويده في يد همية عائدين الى بيتهما مصم الغول شفتيه وقال صارخا هاهما المطلقان سمن على عسل محمد اسماعيل صحفى زميل هكذا قدم نفسه اليه في مكتبة في المجلة التى يعمل بهاناملة نامل من يرى شخصا للمره الاولى وقد استقام جسده الممتلىء على المقعد المواجه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مشرقة احاطت بعا ذقن معتنى بامرها رحبت كلما تهبه صادقا
مرحبا بك يا اخ محمد
استطرد الضيف بعد لحظة قائلا سمعت بما اصابكم من ضلالة المهدى فجئت مواسيا وموضحا لامور لاتعلمونها عن ذلك الدعى الذى اصبح سبة في جبين الدعوة والدعاة ساخرا اكمل هو ليس المهدى وحده مما يحزن ان اسمع منك ومن غيرك انتشار الضلالة بين من لهم سمة رجال الدين ولاكن اعلم ياأخى هداك الله ان الإسلام لا يعرف الكهنوت ولا يفضل أعجمي على عربي ألا بالتقوى هي مخالفة الله وخشيته في السر والعلن فلا تغرنكم المظاهر لان من يحتوى حشاه صور الشيطان يجب ان يراه الناس ملاكا قال هو معتزرا اسف ياأخى ان كان قد صدر عنى مايسيء حاشى لله ولاكن اردت ان اوضح امرا مشاعا بين اهل الزمان ولو كان بك مايسيء ما جئت اليك اهلا بك ومرحبا شكر الله لك ثم في عودة للجادة وبعدا عن تبادل التحيات وبعد سكوت قصير قال اردت بمجيئى ان اوصل اليك معلومة خامة قد تفيد في التحقيقات مع المهدى وهى انه قد جاء الى شيخى المتولىخال صالح نعم جاءه باكيا او متظاهرا بالبكاء واعلن انه قد سرق وان المال المسروق لا يملك منه قرشا وان مستقبله كداعية قد ضاع وضيع معه اولاده
فلابد وان القضاء سيرسله الى السجن اذا ماشكاه الدائنون جمع له شيخى مائه وعشرون الف من الجنيهات وطلب منه ان يسارع باعادة المال الى اصحابه
ماسمعنا بهذا ولا رد المهدى زوجته معه الى السعودية وبيده صورة من بلاغه للشرطة الذى يتهم فيه العمال بسرقة منزله وذهب الى تجمعات اهل الخير فسارعو الى نجدته بمبالغ كبيرة لاكن ماذا فعل بها وكيف طاوعته نفسه ان يترك مريضا ولا يقدم له العلاج او اطفالا ولا يقدم لهم العون ةالكعام او قريبا للشيخ
الذى مد له يد العون فلا يرد عليه ماله او بعضا منه انه شح النفس حفظك الله

احس بلسانه يتحرك بالكلمات وحنجرته تخرجها دفقات دافئة بالصدق من الاعماق
الهم قنى شح نفسى واحاطت به الكعبة وزوارها في العصر الاول للاسلام فاذا بالصحابى الجليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ابن عوف يطوف بالكعبة قد كان من اغنى اغنياء المسلمين ومن اكرمهم والدكثرهم اخراجا للصدقات واقبلهم على فعل الخير واكرههم للمال ورغم هذا جميعه فلقد اخذه الخوف من فتنة المال فطاف سبعا وليس له من دعاء الا قوله اللهم قنى شح نفسى افاق من عبق الماضى على يد ضيفه ممتدة في وداع فتناولها بمودة وبعد ان نهض من جلسته قال له وهو يمشى معه خطوات الى الباب اللهم نسالك ان يقينا شح انفسنا اللهم امين
وعاد الى مكتبه يتامل موقف عبد الرحمن ابن عوف وموقف المهدى ومن يكون المهدى من الصحابى الجليل ومن نكون نحن امام من بشره الله بالجنة انسابت دموعه وتهدج صوته متوجعا ياويلك يامهدى بل ياويلى بل ياويلنا جميعا
يوم الحق يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
الفصل الخامس
بسم الله الرحمن الرحيم
وكذالك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكرو فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون
اهل السوء
جلس مسترخيا وبدا الاسطى عماد الحلاق يعدل وضع المقعد فيرفعه قليلا
ويرتد بظهره للوراء كثيرا وهو وسط هذا كله لا يكف عن التنهد
ارايت يااستاذ ماصار اليك حال المهدى وبيته الطمع وشح النفس هما هلاك
للبشر الحق ماتقول هو الطمع لان اللواء الغول اخبرنى بان التحقيقات
التى اجراها البوليس حول سرقة المال من شقة المهدى انتهت الى كون السارق
من اهل البيت . قد يكون ابنهم كامل. وقد تكون هنية نفسها ..
ولم لايكون المهدى هو السارق ؟؟
والخمسة جنيهات التى كان يغدق عليك بها يا أسطى عماد .. هل ضاع مفعولها ؟
نفاق ومكر سىء ليعلم منى أخبار أهل الحى سقط حد الموسى على وجهه بعنف
يجتث شعر ذقنه ورأى الأسطى عماد في المرأة التى أمامه غارقا في أفكاره ..
ثم توقف للحظة مفيقا وقال:
أتصدق يأستاذ .. لقد حسبتها ..
ما هى تلك التى حسبتها ؟
الأموال الت أعطاها لى المهدى بالزيادْ عن الأجر .. أنهاتزيد قليلا عن المائة جنية. لنقل مائة وعشرْ جنيهات ..
لقد قررت أن أقدمها لاى صندوق الزكاْ بالجامع أتصدقنى أن قلت لك أننى أصبحت لا أثق في الشيوخ ..
وهذه هى المصيبة . أن لا تصدق في أهل العلم من العلماء لمجرد أن يفعل
الأدعياء ما يسيىء .
تردد لحظات ثم قال في اصرار:
الأفضل أن أوزع هذا المال بنفسى على من أعرف من المحتاجين .
وقد يكون هناك من هم أكثر حاجة ولا تعرفهم .
أتصدق . معك حق يا أستاذ كل الحق
أذن أجعل بعضا من المال في مظروف، وسوف أعطيك اسم وعنوان واحد من
ضحايا المهدى فهو لمرضه ومسئوليتة كأب أحوج مايكون الى هذا المال.

أذن سيكون له المال جميعة فهو أحق به ممن سواه .
وسأحمله الية فور انتهاء فترة العمل.
وحين انتهى من حلاقته كتب لعماد عنوان الشاب المريض.
التقى في طريق عودته الى المنزل بالغول، كان يجلس أمام أحد المحال وما أن
رأه حتى تقافز يلحق بههل علمت بحقيقة السرقة اخبرنى بهذا الحلاق وهل علمت بان المهدى بدا ينقل بعض الامتعة من شقته ليلا لعله يبيعها بل لانه سيعيش مع اولاده في مكان اخر لقد تتبعت احدى السيارات واحضرة عنوان الشقة الجديدة
انها في نهاية طريق الاهرامات انه يسعى للهرب باموالنا ونسى انه لايضيع حق ورائه مطالب معك حق ياسادة اللواء .
تذكر ماله الذى انتهبة الغول مالك عنده، أم هو الحال تبل ، فأصبح هو المنتهب وبطبيعة المحبين لذاتهم ينطق ، فأمثاله لا يحبون الخير الا لأنفسهم .
وشعر أنة بعيد .. بل شديد البعد عن الغول ، وتذكر لحظة جأر بشكواه لأحد الصالحين من كثرة ما خانه الخلان، لترسم الابتسامة بالطمأنين' على وجه الشيخ الطيب مؤكدا له ما يبتلى به بسلامة الطريق الذى يسير فيه . وبأنه بعيد عن قبضة
أبليس يرسل أليك بأوليائة ينغصون عليك سبيلك ويرمون بالأشواك تحت قدميك حتى تحيد أو تتوقف .
مد يده ساخرة على فمه .. وأخذ بيد الغول مصافحا وانصرف مسرعا الى موعد كان مرتبطا به .
رن جرس الباب، زوجته وأولاده بالخارج ، وعليه أن يفتح للطارق، ترك الكتاب الذى كان بيده .. واتجه الى الباب يعالج مغاليقه ، ليجد الاسطى عماد وقد تقدمت
به السن فجاة ، وجهه حزين، وعيناه تفضان بالدمع وصوته يجهش بالحزن:
هل تتصور يا أستاذ أنه قد مات، وصلت الى مسكنة بعد جهد لأجدهم يحملونه الى مسكنة الأبدى .. أصبح بين يدى الحق .
كم سيكون عقابك يامهدى ..
مشفقا جذب الأسطى عماد من يده يدخله الى الشقة وأجلسه وقال له ؟؟
اهدا وقل لى من الذى مات ؟؟
المريض الذى هو من ضحايا المهدى . ذهبت الى بيته بالجنيهات المائة وعشرة
فوجدته قد مات . لقد كرهت هذا المال يا أستاذ . خذه انت. تصرف فيه كيف تشاء . انا لن أعود به الى أولادى ولن أذهب به الى اى بيت .. انه مال مشئوم
ظلت يد عماد ممتدة بالأوراق المالية وأصابعه ترتعد وهو متردد لا يدرى ماذا
يفعل . وضع عماد الجنيهات على منضدة قريبة وقال في حسم :
تأكد يا أستاذ أننى لن أدخل هذا المال بيتى .
نهض قائما وتوجه الى الباب يفتحة ويخرج . ثم أقرأه السلام وهو يغلق الباب
خلفة بينما هو جالس في استغراق لا يقدر على الوقوف لوداع ضيفة.
هذا هو المسلم بفطرته التى فطره الله عليها.
ولكنه يطبق الاسلام الحق ، فالأسلام عمل وصدق نية .
ومخافة لله رب العالمين .
مد يده الى الوريقات المالية التى خلفها الأسطى عماد وراءه وأخذ بعدها فاذا بها
مائة وخمسون جنيها .
تبسم في سعادة .. واستقرات نفسه اللوامة مطمئنة ،
وكان رسول الله يقول :

الخير في وفى أمتى الى يوم القيامة .
تنهد من شغاف فؤاده قائلا:

أمامه فتفقده البقية من عقله وتماسكه . فصرخ نشوان
ـ يالله. مأبداع صنعك لخلقك . معك أعرف كيف آدمك هى نعيم الجنة ليرضى حواء ويفوز بحبها لتصبح جنته الوحيده .حلقت بها كلماتة فى سموات النشوة فبعدت عنه تماما . ورأته من علياء ، دميما
قد خلا من أى جاذبية، ولكنها النقود:
تلك اللعنية التى تسهتويها وتجعل مقاومتها دائما تضعف وتجعل من هم مثل المهدى يتغشونها.
لقد نشأت فى أسرة متواضعة الإمكانيات والقدارت، ولكن سوء حظها جعل جيرانها يـثرون ألا أبهـا . كـان رزقه يفى بالضروريات التى تكفل لهم الطعام
ورخيص الملبس. ورغم جمالها الذى كثيرا ما سمعت فى الطرقات عبارات
تصفه وتمجده ألا أن أحدا لم يتقدم للزواج منها وتخلصها من فقر أسرتهـا
كانت تحلم بزوج شاب ثرى فى مثل سنها يقدم لها الملبس والحلى ويحيط جمالها
وفتنتها بما تستحق ولكن حين جاء.. كان عجوزا يبحث عن ترياق الصبا فى شبابها . سرعـان مـا رحـل عـن الحياة وتركها بين أناس لا يعرفون غير سهر الليالى ومعـاقرة الكـأس والحـديث عـن المغـامرات الخاصـة .
وكان بينهم صديق زوجها الحميم ، تلك الكتلة الضخمة من الشحم واللحم بلا عظم والذى يعمل مخرجا سينمائيا ..
فى حياة زوجها كثيرا ما داعبها أمامه قائلا:
ـ اتركها لى .. أصنع منها نجمة شباك تهز بجمالها الأفتدة ..
وبعد موت زوجها سألها :ـ لماذا لا تدخلين السينما من أوسع أبابهـا. لـدلك الجـمال والمـال. وبهـما تبـدأن نجمة
سألته وهى تنظف فستانها :
ـ ألا يكفينى الجمال. وتدفع انت المال..
وقد كان وأصبحت بالدعاية والسهرات والهدايا نجمة مرموقة بين نجوم السينما ..
ولكنها أبدا لم تقو وظللت على ضعفها أمام من يحول أعجابه ألى حلى ومال.
أما المهدى. فلقد رأته فى حياتها مرة واحدة حين جلس يدربها على النطق السليمة
حين أسندت أليها بطولة مسلسل تليفزيونى تاريخى . وحين انتهى من تدريبهـا
عيناه الكليلتان قد زادتا كلالة على كلالتهما من كرة ما حدق فيها بنهم وحرمـان
شديدين ، مما أثار قرفها وجعلها تطلب من المنتج استبداله أكثر من مرة لكنـه
يعقب دائما على كلامها ضاحكا :
ـ يأأستاذ نفوذ المهدى قوى.. وهومن سيكتب تقرير صلاحية المسلسل وسلامـة
الأحداث من الناحية الدينية .
ـ وانتهى المسلسل وارتاحت أعصابها منه، ولكن دون مقدمات وجدته أمهامها يعرض عليها يعرض عليهـا أمواله التى عددها بالملايين. ويرتعد باكيا فى حرقة
ثم مرتميا على كتفيها يبثها حبه الذى أشتعلت ناره منذ رآها.. ووجدتها فرصـة
أو هى تجربة لتعاشر مراهقا تخطى الخمسين من عمره. وهذا لن يضيف جديدا
فالجسد لا يمتنع على أحد بعد السكر والأهم أن المال أصبح فى قبضتها . وقسيمة
الزواج تنص منه وتطلقه فى اللحظة التى تراها مناسبة .فى تمثيل واضح، وان خرجت الكلمات صادقة مـع تمايل جسدها بالأغراء مـد ت

قدمها إلى المهدى تنغم الكلمات:
ـ استنى يامهدى حتى أسكر فتتبين لى مفاتن دنياك..
قال صالح فى نشوة واضحة.
ـ لأن الأمر سار ، أردتك أن تسعد من أجلى ـ خير ياصديقى . قل، فلم يعد هناك ما يبعث على السرور .
ـ لقد جاءتنى دعوة للحج .
ـ الله اكبر .
لم يملك نفسه فاحتضن صديقه فى سعادة، واستطرد صالح قائلا:
ـ رجل طيب التقيت به فى مجلس قريبى الشيخ ذات يوم وانقطعت علاقتنا بعدها تماما. ثم إذا به يحضر المجلس ويخبرني بأنه يدعوني وزوجتي ومن أرى من أولادى للسفر والاقامة الكاملة أيام الحج اره بالمدنية المنورة .
ـ هذه دعوة من صاحب البيت .
ـ وها أنا ذا قد لبيـت .
ـ الحمد الله ..
ـ له كل الحمد والشكر ..ـ كنت دائما بعيونى وكنت أفكر دائما عى زيارتك ولكن شاء اللـه أن تكـون أنـت سباقا .. وصاحب الفضل .
ـ ياصديقى الفضل لله صاحب الفضل ..
ـ هل سمعت بما فعل قريبك المتولى للمهدى .
ـ نعم وما فعله نتيجة لكونه يحسن الظن بالمهدى . ولم يكن يعلم بما فعله بنا .
ـ ومن منا كانت تأخذه مظنة سوء بالمهدى قبل أن نتعامل معه ؟
ـ دع الأمر لله . وسأعود لك ولأسرتك بالكعبة بالصلاح والفلاح.
ـ بل لاتنسى ياصديقى أن تدعو الله أن يبعد عنى أزيز اهل الدنيا من حولى فلقد كادوا يجعلون كل حياتى للمهدى وما فعل .
ـ الله يعنيك .
تنهد بكل الصدق رافعا يديه قائلا
ـ يارب ..قال المهدى:
ـ ألست بمؤمن تبحث عن الحق وتسعى اليه ؟؟
أجاب هو :
ـ ارجو من الله ان أكون كذلك .
قال المهدى :
ـ اذن انا فى انتظارك بمكتبى بالوزارة ياصديقى استقبله المهدى على باب المصعد مرحبا وراح يقدمه لكـل من يمر بهم من موظفى الوزارة قائلا
ـ صديقى الأستاذ .." الصحفى الكبير"
ولما وصلا إلى مكتبه أغلق الباب خلفه ثم استأذن ليؤدى صلاة الظهر .
وحين انتهى من الصلاة لم يتجه ألى مكتبه ليجلس أليه كما اعتاد أن يفعل دائما
ولكنه اتجه ألى الأريكة التى يجلس عليها وجلس بجانبه ينظر أليه من خلال نظاريه بعينين ازدادتا كلالـة وانتفخ ما حولهما من أعصاب حتى تورمتا، ثـم
وبلا مقدمات رفع المنظار ورمى به جانبا ووضع يديه على كلتا العينين وأجهش بالبكاء .

أصابه الذهول حتى أنه لم يشعر بأن المهدى قد أراح رأسه على كتفه وهو مستطردفى النحيب وبعد لحظات رفع المهدى رأسه وقال :
ـ لقد عز على كثيرا ياصديقى أن تكون واحدا ممن يرموننى بالباطل ..
أخرج منديله من جيبه وناوله للمهدى لكى يجفف دمعه ثم قـال:
ـ لم أرمك بباطل،ولم أتخذ منك ألا موقف العدل ، بل لقد كففت يد الناس عنك حين أزادوا أن يتخطوا الحدود التى رسمها القانون .
ـ هذه كانت نظرتى اليك دائما . رجل حق. ولهذا لجأت أليك لتسمع الحقيقه ولتتبين موقفى وتدافع عنى .
توقف المهدى عن الكلام ومسح عينيه، ثم لبس نظارته وراح ينظر ى إلى مكونات الحجرة المكتب الفخم، المكتبة الكبيرة ، المقاعد الوثيرة وعاد المهدى يخلع المنظار ليبكى من جديد قائلا:
ـ ان هذا الذى ترانى فيه يا صديقى كونته بالتعب ولم أنله سهلا. وحين يزج باسمى فى موضوع انتهاب لأموال الناس فأن ذلك يعنى حرج مركزى الوظيفى
العار .
ـ ولكنك فعلت ذلك بنفسك .
ازداد نحيبه وتساقطت كلماتة كدموع عينيه قائلا :
ـ وماذا كان بيدى أن أفعل ، زوج مغلوب على أمره يريد لحياته الزوجية أن تستمر من أجل تربية الأنباء ورعايتهم ، وزوجة رعناء شديد' الالحاح كثيرة
الكلام خبيثة المقصد ، ألا تريح نفسك ياصديقى وتفعل ما تريد أذا ما طالبتك زوجتك بفعله؟ ألم يحدث لك ذلك ؟ ألم تطاردك زوجتك بحديث الا نفس الشىء
نفس الشىء حتى تمل كل شىء وتكره كل شىء .. وتنقذ نفسك من الجنون مؤكد
وتفعل الشىء الذى تريده .
ـ مسكين يا أستاذ مهدى ظلمتك زوجتك وظلمناك بظلمها ، ولكنك تماديت فى الانقياد وراءها، كان واجبك أن تقاوم ثم .. ثم أنك قد نلت أيضا مما غنمته من أموالنا .
ارتفع نحيب المهدى ، رفع يديه إلى السماء وجأر صائحا :
ــ اللهم أنزل على غضبك ان كنت قد أخذت منها شيا. لقد استولت هى على المال جميعه .
ـ وما أخذته من الشيخ المتولى، ما جمعه لك من أهل الخير أين هذا المال؟
ـ وهكذا يزيد البلاء أوصلت اليك هذه الأكاذيب . اسمع يا صديقى الحقيقة لقد كان الشيخ المتولى محتاج لمساعد يجمع له أسانيد كتاب جديد، وكل ما بينى وبينه
عقد بأربعين ألفا من الجنيهات وليس كما يشاع مائة ألف أو تزيد .
ـ اسمع يا صديقى . اعلم أن لك ابنا بالجامعة. وأفهم تماما مدى حاجتك للمال ومنطلق الصداقة سوف أدبر لك مبلغا يسلعدك على اجتياز احتياجاتك.
ـ ليس الأمر كذلك .
ـ يا صديقى لا تكن هكذا . هذا المال سوف أسترده من هنية .
نهض إلى المكتبة وفتح أحد أدراجها وأخرج رزمتان من الجنيهات ودفع بهما اليه قائلا :
ـ امسك يا صديقى .. هذان الفان من الجنيهات .. وكل ما أرجوه أن لا يعرف أحد بهذا الأمر .. أرحوك ..
وكان المهدى يدفعه مع الجنيهات قد هينا إلى باب الخروج.وجد نفسه فى الطريق ورزمتا الجنيهات قد استقرت فى جيوبه ، ويده تلوح دون كلل صارخ :

تاكسى .. تاكسى ..
كان يريد أن يهرب إلى أن يهرب إلى أى مكان .. يجلس وحيدا يتأمل فيما قاله المهدى .. فلقد فجر كلام المهدى الاما نفسية واحساسا بالذنب داخله .: هل يكون المهدى مظلوم حقا ؟
: ولماذا لا وها هو ذا يقدم له المال دون أن يطلب منه شيئا الا لمجرد احساس المهدى مثل أى زوج مغلوب على أمره مكره على طاعة زوجتة؟
ـ ولكن عن أفعال المهدى السابقة ، كذبه فى أمر السفر إلى السعودية .
: ولماذا لا يكون كل ذلك بتخطيط من زوجته حتى تبيع السيارة وتستولى على ثمنها .
: وعدم مد يد المساعدة للشاب المريض رحمه الله ؟؟
: لأنه لم يكن يملك مالا يساعده به فى تلك الايام . ولقد كان لذلك عصبيا سليط اللسان فظ التصرف فعو ير الباطل بين يديه ولا يستطيع أن يدفعه، بل يجد نفسه
غرقا فيـــه :
تكاثرت الأسئلة وتلاحقت الأفكار تدير رأسه وتدق بعنف على مشاعره حتى أفاقه
صوت سائق التاكسى بسأله :
ـ يا استاذ لى ساعة أدور بك فى شوراع المدينة وأنت لا تزيد عن ترديد قوله:
واصل السير . أليس لك هدف تريد الوصول اليه ؟
قال معتذرا :
ـ ليت النوايا تكون ظاهرة فى أقوالنا بلا التواء حتى تسهل علينا الوصول ألى الأهداف أو حتى لتجديدها .
ـ ماذا تقول يا أستاذ ؟
استدرك هو معتذرا وأعلن السائق بعنوان بيته ..
الفصل السادس

بسم الله الرحمن الرحيم
" ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله ...."
صدق الله العظيم

المكر السيـــىء

وجده يجلس منتظرا بمكتبه بالمجلة .. هادئا راه أول مرة :
ـ أهلا بالأخ محمد اسماعيل
كان ترحيبه صادقا فلقد وجد فى حضوره نجيده سماوية قد تخرجه من حيرته التى
يعيشها منذ لقائة بالمهدى فزوجته قد هاجمت المهدى بعنف حين قص عليها ما حدثفى لقائه بالمهدى.. ورفضت أن تخرج به من مظنة الاتهام، ورغم سعادتها الشديدة بالنقود التى استدرها منه، وهو ما التفت عن صراعه بين سمع من المهدى
وسمع من الناس .
سأله محمد اسماعيل وهو يصافحه هازا يده وكأنه يسعى لافاقته من هواجسه:
ـ هل قرأت الموضوع الذى كتبته منذ يومين جلس معتذرا وهو يفيق من أفكاره :
ـ الواقع أننى لم اقرأه .. يبدو أن مقواه صديقنا عن الصحفيين من أنتم يكتبون ولا يقرأون صحيحة .
قال محمد اسماعيل فى حزن :
ـ لقد عرفت بمأساة الشاب الذى مات ، وهزتنى الحقيقة هزا مؤلما فكتيب مناشدا
المسئولين أن يتدخلوا فى مأساة ضحايا المهدى رحمة بالمتحاجين منهم ولقد اتصل
بى أمس وزير الآوقاف وقال انه طلب المهدى وعنفه بشدة ، وأنذره بأنه اذا لم يرد للناس أموالهم خلال أيام فسوف يوقفه عن العمل ويحليه إلى لجنة تأديبية للتحقيق معه ..

.. قفزت زوجته ملوحة فى انتصار ـ ألم أقل لك أنها مناورة من المهدى يريد أن ينقذ بها نفسه ..ذهبت علامات التعجب التى طاردته منذ وجد المهدى ينتظره أمام باب المصعد بالوزارة .قال لنفسه بصوت مسموع :

ـ لهذا انتظرنى أمام باب المصعد ولكى يبرىء نفسه قدمنى إلى الجميع معرفا باسمى ..

ابتسم محمد اسماعيل وبشفافية المؤمن الصادق تساءل :

ـ هل طلب المهدى منك أن تذهب اليه بالوزارة ؟

ـ نعم واستقبلنى بعاصفة من الترحيب ، بل وأصر أن يصحبنى إلى المصعد عند

خروجى والنقود التى أعطاها لى مازالت بعد بيدى .

ـ تعمد هذا لكى يوهم الجميع بأنه قد رد عليك مالك.

قال هو فى دهشة :

ـ بالله .. انه فعل كفعل الشياطين .

واستطرد محمد اسماعيل قائلا :

ـ هل بكى وحدثك عن مستقبله الذى بناه بالكفاح، كيف سيضيع بسبب أخذه بالباطل فى قضية لا ناقة له فيها و لاجمل ـ هذا ما حدث بالضبط .

ـ وهذا مافعله المهدى أمام الوزير حين استدعاه وما فعله أيضا أمام شيخى المتولى وأمام الموجودين بمجلسه حين أبكانا جميعا ـ لطفك ورحمتك ياالله .. لقد أرحتنى من تأنيب ضميرى لمظنة ظلمنا المهدى .

ـ انه كيد الشياطين ياأخى وهو محيط بأهله.

ـ وأنت ياأخى جئت لى بالرحمة من هواجسى حول المهدى. الحمد لله الذى أرسلك إلى .

وكان حملا لا يطيقة قد انزاح من فوق صدره، ولم لا وقد كان مطاردا دائما ومؤرقا باقول الالهى (ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرد به بريئا فقد احتمل

بهتانا واثما مبينا) .

ليل نهار كانت صورة المهدى تطارده .. باكيا .. نائما .. متظلما فيدخل به فى

متاهات لا نهاية لها : فأين الحقيقة .. وأين الكذب ومن الظالم .. ومن يكون المظلوم وهل هو فى جانب الحق أم فى جانب الباطل وقد أعماه الظلم الذى وقع

عليه عن ادراك العدل ؟؟ولكن ها هو ذا محمد اسماعيل يظهر فجأة ليريحه، وكأنه ملاك من ملائكة الرحمة

ظهر فى حياتها فجأة. ذاك الصبى الصغير الذى يسكن فى الحارة التى نشأت بها

بها ، لكنه لم يكن كما أحبته صغيرا مقداما كثير المشاكسة فتاها المثالى الذى

تعشق كل ذرة فيه وحركة منه بل عبوس منطو لا يغادر مكتنه وراء الكاميرا الا للضرورة لا يتحدث مع العاملين ولا يداعب الممثلات كغيره ..

ورغم تغير مظهره وسلوكه، ورغم عدم التفاته اليها أو اهتمامه بها الا أن الدماء

اندفعت بشدة لتجعل وجهها فى حمرة الورد حين رأته، وهى لم تعد تذكر اخر مرة حدث لها مثل هذا الخدر اللذيذ ، لكنها سيطرت على مشاعرها وأدت دورها باجادة وأشاد المخرج بالسرعة التى انتهت بها اللقطة ، وأعلن عن توقف التصوير

للراحة والغذاء ...قال لها مغازلا:

ـ لم أرك على مثل هذه الحرارة والتقمص ياحلوة .

ـ أسرعت هى إلى حجرة خلع الملابس، بدلت ملابس التصوير، وخرجت إلى حيث تقبع الملابس، بدلت ملابس خلفها لكنه كان قد غادر مكانة، لم تسأل عنة ولم

يداخلها اليأس للحظة فى كونها سوف تجده فهى تثق أنه قدرها ومحطتها الأخيرة
شىء ما كان خفيا عليها بدأ يتحرك داخل نفسها يهمس ويوجه: اذهبى إلى المطعم بالطابق الثانى عشر.

ـ استقبلها عامل المصعد والعاملون بالتليفزيون ممن تصادف وجودهم بالتهليل وانهالت عبارات الاعجاب وهى على غير عادتها لا تلتفت لكل هذا الاحتفاء

خطواتها تتحرك بثبات إلى داخل المصعد ثم تحملها خارجه إلى الهدف المحد:
مطعم التليفزيون ولتنظر إلى يمين الباب حين يدخل فهو .. هو هناك ..ـ وقد كان ووجدته أمامها يلتهم طعامه ببطء وحيدا. هو فقط من خلت منضدته من شريك أو شريكة، تقدمت أليه متهللة ومهللة :

ـ شريف شلقامى.. أشقى ولد فى حارة جوهر .. ألست هـو؟

ـ نظر اليها وكأنه لا يراها ، فكل ما أثار انتباهه ، أن هناك من ذكر اسمه .

ـ جلست فى اصرار على المقعد المواجه واستطردت تقول ضاحكة :

ـ لا تقل أنه ليس أنت : شريف .

رفع جفنيه ببطء ونظر اليها طويلا ثم قال :ـ وماذا تعرف نجمتنا عن حارة جوهر؟؟

رفعت شعرها الناعم بكفيها إلى أعلى، نفس الحركة التى كانت تستهويه بها وهى طفلة :

ـ ألم تعرفنى بعد .. ؟

ـ هذه الحركة أعرف صاحبتها

ازدادت سعادة فوق سعادتها ، زغردت الحياة حولها بالأفراح وكأنه قد طلب منها أن تتزوجه قالت :

ـ أذن أنت شريف .. وأنا سعدية .

ـ أيعقل هذا .. سونا حسنى نجمة السينما .. هى سعدية بنت عم حسين ؟ـ هل يعقل أن الشيطان حارة جوهر يجلس وحيدا فى أدب المتصوفين؟

ـ وتتحدثين عن التصوف ..

ـ قرأت هنا وهناك ، واخلطت بالمثقفين من الصحفيين والكتاب .

قالتها فى دلال ثم سألته:ـ ألن تدعونى للغذاء ..ـ خيرك سابق يابنت عم حسين . كم أعطيتنى من طعامك .

ـ بل قل الحقيقة وهى كم اختطفت بالقوة طعامى .

وسار بهما الحديث بلا توقف، وسألته عن أحواله ، ولم تطمئن الا حين علمت انه لم يوفق فى زواجه وأنه يعيش وحيدا ..

وحين سألها عن الذى أوصلها لهذا العالم العريب عن طموحها ونشأتها كلمته بكل صدق عن تجربتها مع الزواج ولم تصرح بأنها زوجه للمهدى حتى لا تضع أمام تدفق مشاعرها حدودا وقيودا..ـ واستمرت أيام عملها بالمسلسل التليفزيونى والعلاقة القديمة تحفر فى
أخاديد الأيام مجرى جديدا للنهر القديم حتى يعود ثانية إلى الجريان، واصبح الجميع يعرفون أن شريف شلقانى هو مفتاح الكنز، أو هو كلمة السر لأخذ موافقة النجمة المشهورة سونا حسنى على اى شىء .

ـ ولم يكن غريبا أن يعود المهدى بعد أيام ثلاثة من بدء زوجته سونا تصوير مسلسها التليفزيونى .. إلى شقة الزوجية ليجد ورقة على الباب الذى لم يستطع فتحه تعلمه فيها أنها غيرت مفاتيح الباب وان حقيبة ملابسه وورقة الطلاق

موجودان بحجرة حارس البيت .ـ لم يكن يتصور أن تنتهى زيجته بالنجمة المعروف فى اقل من شهر .
واذا كانت هذه هى النهاية المنتظرة، أين ما ائتمنها عليــه؟أين النصـف مليـون جنيـة؟؟وجاءه الجـواب أخيرا من خلال الهاتف :
ـ وهل نص الشرع يا أستاذ نهدى على أن الزوخ يسـترد مهـر زوجتـه .واختفـت كـل المرئيـات ...ولم يعـد للمهدى بعالم الوجود صلة ..فلا يدرى ما الحال ..ولا أين الزوجة أو الولد ...قال لزوجته وهو يفتح البـاب :
ـ هل علمت بأن النيابة قد قررت التحفظ على أموال المهدى وهنية وأولاده ؟؟
ـ هل علمت أنت .. بأن هناك قرارا بالضبط والاحضار قد صدر من النيابه
والغول يؤكد أن هنية والمهدى سوف يسجنان على ذمة القضية ، ثم يستمــر
سجنهما إلى أن يسددا ما عليها من أموال؟؟ـ قبل أن أنسى .. لقد اتصل بك صالح يسأل ان كنت تريـد أن يحــضر لك
مشتروات من السعودية فرحلة الحج اقترب موعدها .
ـ اذن سوف نزوره الليلة معا .. ليتك تخبرى زودته حتى ينظرنا فلا يخـرج كعادته .
ـ دخل هو إلى حجرة المكتب . وذهبت زوجه إلى حيث الهاتف ثـم سـمعتها تتحـدث إلى زوجـة صـالح .
بينما انصرف هو إلى المكتبة فأخرج من أحد أدراجها
المال الذى أعطاه له المهدى فقسمه إلى نصيبين أعاد أحدهما إلى الدرج ووضع
النصيب الا خر فى مظروف وأغلقه ثم أدخله فى جيب سترته ثم علقها على حامل
الملابس وارتدى منامته وبعدها استغرق فى اعداد مكان الصلاة انتظارا الجميـع
أولاده ليصلوا العصر جماعة كما تعودوا بينما فكره يعمل فى اتجاه اخر ..
: هذا الألف من الجنيهات ستعين دون شك صديقه صالحا فى فترة الحـج كـما ستسـاعده هـو أيضـا عـلى اللقيام بعمرة عند حلول الربيع ولعل الرزاق الكريم ييسرها فيصحب أسرتـة معـه ولـو عـن طريـق الـبر فأسعار السفر أقل كثير من اسعار الطائرات وان زدات المشقة .
: هل هناك أعظم من مشقة السعى فى سبيل الله ولله ؟
: ولكن ما موقفك من المهدى منك بأن لا تصرح لأحد بأنه أعطاك مالا.
: هل لمن هو على شاكلة المهدى من قول يصان أو يصدق .
انتحى بثديقه صالح جانبا أن التقى به فى مسكنه، وأخرج المظروف الذى به المال ووضـعه فى يـده بعـزم شديد قــائلا:
ـ اسمع ياصالح .. لقد رد إلى المهدى ألفين من الجنيهات اقتسمتها معك، وهذه ألف من مالك ردها اللـه عليك.
حاول صالح أن يرد المظروف ولكنه أكد له قائلا:
ـ لولا أننى أتمنى على الله أن تيسر لى عمرة فى الربيع القادم ما أبقيت لنفسى من المال شـيئا ولأتيتـك بـه جميعا .
شكره صالح وقال معاتبا:
ـ أجتني لتعطينى هذا المال ؟
ـ بل جئتك محييا وداعيا لك حج مبرور وذنب مغفور وراجيا أن تدعو لى بحج قريب ..
ـ اللهم أسال أن ييسره لك .
رفع كفيه إلى السماء وصدقت أعماقه فى رجاء :ـ أمــين..

وقف المهدى مهارا أمام المحقق وقد نهدلت ملابسه عليه بعد أن جف عوده حزنا وكمدا ظهرا فى كلماته المرتعدة الشاكية من مخادعة نجمة السينما له، واستيلاتها
على الأموال التى كان يريد ردها لأصحابها كما ادعى كذبا ..
وحين سمعت هنية ما قاله صكت وجهها وصرخت:
ـ أخذت المال أيضا وأنت من أفهمتنى بأنك طلقتنى حفاظا على المال ومن أن تصل اليه يد العدل . يا رب ماذا تفعل بى دنياى: زوج فقد الرشد وجن على كبر وابن كنت أظنه السند لى فى مواجهة الايام فاذا به يسرقنى مثل سرقة أبيه .
ثم سقطت هنية مغشيا عليها للحظات ، وحين أسعفوها بالماء أفاقت وعيناها تلمعان ببريق عزم شديد أو هو يأس أكثر شدة .
حاولت قدر المستطاع أن تفرد جسدها الملىء بالشحم وهى تقترب من المحقق قائله :
ـ اكتب ياسيدى اعترافى كاملا ..حاول المهدى أن يوقفها ولكن المحقق طلب من الحارس اخراجه من الحجرة واستطردت هنية قائلة :ـ كنا نعيش كأسرة أسعد أيامنا فى ذلك الزمان الذى لم يكن فى بيتنا ثلاجة أو
فيديو أو تليفزيون ، كان زوجى يؤدى عمله باخلاص ونحمد الله على نعمة رزقة
وشمولنا بالستر ، وفجأة بدأ زوجى يتمرد على كل شىء على كزوجة وعلى
امكنيات حياتنا المتواضعة وكيف أن غيره من الزملاء يعيشون ملوكا . قلت له
ولماذا لأ تفعل ما يفعلون . قال انه لا يملك مواهبهم فهم يكتبون ويبحثون
ويدرسون ويكسبون من وراء ذلك أموالا كثيرة وهو يستطيع شيئا من هذا وليست
لديه طاقة عليمة .قلت له : اذن سافر إلى أى بلد عربى فالمرتبات هناك أكبر .قال: ولماذا لا تفعل ما فعل غيرنا .قلت : وماذا فعل أولئك ؟
قال اختاروا الطريق السهل للثراء السريع.
وشممت رائحة غير طيبة فى كلامه واستكثرت أن يسرق زوجى أويكذب فقلت له
وهل نسيت أن الاخرة خير وأبقى؟ لتشترى بها الدنيا وسمعت ردا غريبا: ومن
أدراك أن اخرتنا ستكون أسعد حالا من دنيانا ؟؟
كان ياسيدى فى حالة من الهياج المخيف، فوجهه مشدود الجلد منتفخ وعيناه حمراوان جاحظتان وبدنه يرتعد كالمحموم .
وجدت أن السكوت أفضل وقلت لنفسى أنها لحظة من لحظات تمكن الشيطان ولكن
بعد أيام وجدت المهدى يسألنى :
ألا تعرفين أحد من الجيران؟
كان سؤاله غريبا فهو لا يكاد يجد له مانا بالبيت لكثرة الجارات اللاتى يزرننى تبركا بالأستاذ ، وطلبا للنصح ولحاجتهم لفهم دينهم أكثر .
ولم يكن أمامى الا أن أقول له : ماذا تمثل تلك الجارات أن لم يكن تأكيدا لمعرفتنا
بكل الجيران .قال متأففا قرفانا :
ـ مظهرهن ينم عن كونهن فقيرات مثلنا ، لسن ثريات ولا فقط سمان .وهكذا استطرد بنا الحديث لينتهى الأمر إلى ما انتهينا الية . أشعت بين الجميع أن
هناك فرصة لاستثمار أموالهم بالحلال وحسب شرع الله ودون الوقوع فى براثن الربا وما هى ألا أيام حتى انهالت الأموال بالآلاف، وسألت المهدى : ولكن من أين ستدفع لهم أرباح هذا المال وليست لدينا تجارة ولا شطارةقال لى فى هدوء وثقة شديدين : من ذات اموالهم قلت له منزعجة ولاكن المال سينتهى سريعا ضحك المهدى ضحكة لاانساها

فلم اسمعها منه من قبل ولا بعد ثم قال لن تكون هناك سنوات كثيرة لتستنفد كل الودائع ولا حتى نصفها والضربة الكبرى مع ذيادة الايداعات وهذه ستكون لنا خالصة ونرتاح من الفقر ثم ومنذ اكثر من ستة اشهر جاء إلى البيت مهللا وقال لقد فرجت من اوسع الابواب وقص على كيف انه تعاقد
للعمل خارج البلاد واننا نستطيع ان نعلن عن سرقة جزء كبير من الاموال ثم نطلب من المودعين التريث وبعدها نفاوضهم لنصل بهم إلى درجة اليأس وهنا
عليهم أن يتنازلوا عن كل ما صرف لهم ونصف ماتبقى ثم نعطيهم ربعه والباقى
من مرتب على ثلاثة أو اربعة أعوام وأكد لى أن هذه هى أسلم طريقة، لأن عائد الاموال من البنك سوف يكفى ويزيد لسداد المتبقى للناس . أما أذا حدث غير ذلك فسوف يطلقنى أو يودعنى مستشفى للأمراض العقلية لاسقاط الحق القانونى للمودعين . وبدأ تنفيذ ما اتفقنا عليه ولكنى فوجئت بما حدث وبما هو أمر وأقسى فلقد استيقظت من نومى منذ أيام لأجد ابنى البكر يستخرج الذهب الذى أخفيته عنكم فى مكان سرى..
ويتسلل به خارج البيت لحقت به واستعدته قسرا، وها هو ذا الذهب ياسيدى . انة
يساوى مائة ألف من الجنيهات أو يزيد ..
ردوه إلى أصحابه ولا تسجنونى .. اسبحنوا المتسبب الحقيق.. طليقى المهدى لعنه الله ..
عندما فتح الباب عائدا من العمل فوجىء باجتماع صاخب فى بيته .. كان هناك أكثر من عشرة أشخاص يتصايحون جميعا فى وقت واحد دون اهتمام أن كان هناك من يستمع أليهم أم لا . ثم سكتوا فجأة حين ألقى عليهم السلام ثم انتبهوا فبدأوا يردون فرادى أو مجتمعين :
ـ وعليكم السلام ..تقافز صارخا وهو يقترب منه ثم يتشبث بكتفه :
ـ أنقذنى ياجارى العزيز.. يريدون أن ينتهبوا حقوقى .
قالت أم ابراهيم فى عنف لم يرها عليه منذ عرفها :
ـ أى حقوق ياسيادة اللواء . انك تريد أن تقدر الديون التى لك لدى المهدى بما هو مكتوب بالايصالات .
وأنت تعرف ونحن نعرف أن الأرقام المكتوبة ثلاثة أضعاف المبلغ الذى أعطيته للمهدى .
صرخ الغول وقد ازرق لونه .
ـ ولكنى لن أقبل الا ما دفعت. وما تم العثور عليه لا يكفى ألا لسداد ربع ما دفع الناس .
وهكذا ترون أننى لن أصل إلى مبلغى كاملا .قال أمين الطوبجى :
ـ بهذا يحرم غيرك . وتنتهب أنصبتهم .
ازداد الغول انفعالا وراح يتمايل يمنه ويسرة هو يقول.ـ أنا أنهيت .. أنا اسرق .. وأنتم اللصوص كلكم لصوص تريدون سرقتى . أنت
يا أم ابراهيم جمعت مالك من سرقة الزبائن وغشهم . وأنت يا سيدة الصالون. هل
تعرفين مصدر مالك الذى تتباكين علية . أم أقول لهم من أين لك هذا المال .. وأنت..وأنت و ...
وتقافزت النسوة عليه يصرخن فيه ويخدشن وجهع إلى أن أسكتت صرخة أمين الطوبجى الجميع حين قال :
ـ سوف نشهد جميعا بأنك زورت الايصالات ، وسوف يثبت الطب الشرعى صدق مقولتنا ياغول .
ولم يحتمل الغول: سقط على الأرض والعرق يتصبب غزيرا من جسده .. واننى
أحد الموجودين يفحصه ثم همس :
جيئونى بالهاتف لنطلب الاسعاف فالغول قد أصيب بأزمة قلبية ويجب نقله فورا إلى المستشفى .
سقطت سحابة ثقيلة خيمت بالصمت والحزن على الموجودين ولم يعد أحد يتكلم، وكل مايسمع صوت التنفس أو كلمات الطبيب. والجميع أصابتهم الحقيقة بالذهول

فجمدوا فى أماكنهم ولم يتحرك أحد من موقعه الا حين دق جرس الباب ودخل رجال الاسعاف ليحملوا بمساعدة الموجودين الغول إلى السيارة التى كانت تنتظر أمام الباب البيت . وبعد ساعات ذهب هو إلى الغول بالمستشفى يعوده ومعه الأسطى عماد قال الغول

ـ يعلم الله أن لك دينا فى عنقى كتبت لك شيك به وهاك تعهد منى بالمبلغ الذى أخذه المهدى لقد كانت ليلةأمس بالنسبة لى هى رحلة الحساب والحقيقة. وأنا شديد

الأسف شديد الندم على تصرفى معك حين قبلت أن أبيعك سيارتى القديمة وحين قبلت أن أنتهب مالك. لقد كانت جهالة منى ..وأحمد الله أن أفقت .. أغفر لى ياجارى وسامحنى .. وادعو لى ..خرج من المستشفى وهو لا يكاد يعى ما قال الغول : اليلة مع المرض تغير الانسان هكذا وكأنما كان الأسطى عماد يقرا أفكاره فلقد قال له فجاة :

ـ سبحان مصرف القلوب، يقير من حال إلى حال .... وكان هو عائدا من زيارة المدين المنورة زالحافلة التى يركبونها تقترب من دائرة الكعبة المشرفة ومع اقترابها تتفتت ذرات نفسه شعاعا يطوف بعيدا عنه بالحب وتلتصق الذرات بالبيت وتتشمم عطر الركن اليمانى والحجر الأسود

وتتعلق بالأستار لحظة .. لحظة واحدة تستطيع أن تحول بأمر الله الانسان من حال للحال :

سبحان مصرف القلوب .. سبحان الله ..

له فى خلقه شئون ...

*****

الليل صامت

المدينة المجنونة قد أهلكت طاقاتها وقدرتها على الصراخ والصخب فى كل ذلط الهوس الذى مارسته طيلة نهارها وطيلة جزء كبير من الليل .وهو جالس فى شرفة بيته .. منشيا برطوبة تشبعت بها ذرات الهواء، متأملا ذاك

النجم اللامع الوحيد فى ظلمة السماء وتلك السيارة التى همدت حركتها على أجناب الطريق وذلك الظلام الذى لف عشرات البنايات حوله فجعلها تقف كالجبال الراسيات ظاهرها موات وباطنها حركة وحياة وقال لنفسه :

سبحانك اللهم .. جعلت لكل بداية نهاية ولكل حياة ممات وأن انشغل الخلق بأمر حياتهم وظنوا أنهم معها مخلدون، فأنستهم أنفسهم ونسوا بهذا الحقيقة الوحيدة الباقية والمبقية : ونسوا الله ..

هل كان المهدى يفعل ما فعل الا بعد أن تخيل أنه مخلد فلا موت ولا بعث ولا حساب . فضاع وضيع من حوله ..وتصاعدت الأصوات من كل مكان :

ـ الله أكبر ..

ـ الله أكبر ..

مع الترديد الملائكى لأذان الفجر، تداخل صوت رنين جرس الهاتف ..

نهض مسرعا لير حتى لا يزعج الجرس أحدا من النائمين، وهو واثق من أن الامر لايزيد على خطأ فى رقم الهاتف ..

لكنه حين رفع السماعة جاء صوت ليس بغريب علية :ـ أنا صديقك مصطفى .. زميل الدراسة .. أتحدث اليك من المدينة المنورة حيث

أعيش منذ سنين .. هل تذكرنى .. أنا أذكرك جيدا بدليل أنك تعيش معى طيلة الايام العشرة الماضية ظلت صورتك تطاردنى. ولم أكن أعلم لذلك سببا إلى أن كان يوم أمس .. اسمع يا أخى .. لقد كنت مع صحبة من أهل الخير هم يملكون

دار للنشر هنا بالسعودية أنهم يعتزمون أصدار مجلة تعنى بأمو المسلمين فى كل
مكان .. سألونى أن أرشح لهم أسما ، تذكرتك أو قل أخرجت .اسمك من داخلى إلى طرف لسانى فقط .. فى رد فعلى سريع وغير منتظر وجدتهم يرحبون بك لتعمل معهم . اتصلت بإدارة المجلة حيث أتابع كتابايك أيام
أن كنت تكتب وأبلغونى برقم هاتف بيتك . أسف أن كنت أزعجتك بالحديث فى
هذا الوقت. ولكن الناس هنا يتعجلون تنفيذ مشروعهم وقد أبلغونى منذ ساعات قليلة بأن مندوبهم سيكون بالقاهرة بعد تباحث معه عقد لك بأجر طيب إلى جانب
السكن والسيارة تباحث معه حول من ترشحهم للعمل معك وليكونوا أهل خلق وخبرة.. ومكان اللقاء أن شاء الله العاشرة صباحا بمكان عملك .. وأرجو أن تكون فى انتظاره .. واذا شاء الله سنلتقى معا بالمدينة لنستعيد ذكريات أيام طيبات
اقول لك تصبح على خير ..
أقفل المتحدث الخط، ولم ينطلق هو بكلمة، والسماعة ما زالت معلقة بيده .. الصمت عاود أحاطته بكل الموجودات :
: صديقك مصطفى .
: أهل خير يريدونك أن تعمل بالمدينة ..
: تباحث مع مندوبهم حول من ترشحهم للعمل ..: صالح سيصبح له عمل ..
: أمه واخوته سيزورونه وسيجدون عنده مقاما طيبا فى رحاب مسجد رسول الله
: عقد بأجر طيب وسيارة وكأنه عوض له عن ما أخذه المهدى .: الله يخلف على من يشاء بالخيرات، وليمضغ المهدى مالك نارا .
: يتعجلون أصدار المجلة .
: تتعجل أنت السفر للعمرة .
: تحلم بالحج . : ستسافر سريعا .. سريعا .. أسرع من أحلامك فى رؤية ديار الحب .
ـ ترك سماعة الهاتف من يده ، جلس على الأرض ثم خر ساجدا لله فى تبتل وخشوع وهوم مرتفعا عبر طبقات الجو بين النجوم والسحب ، وكل ذرات الوجود
تردد معه ملبية :   لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك
